مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

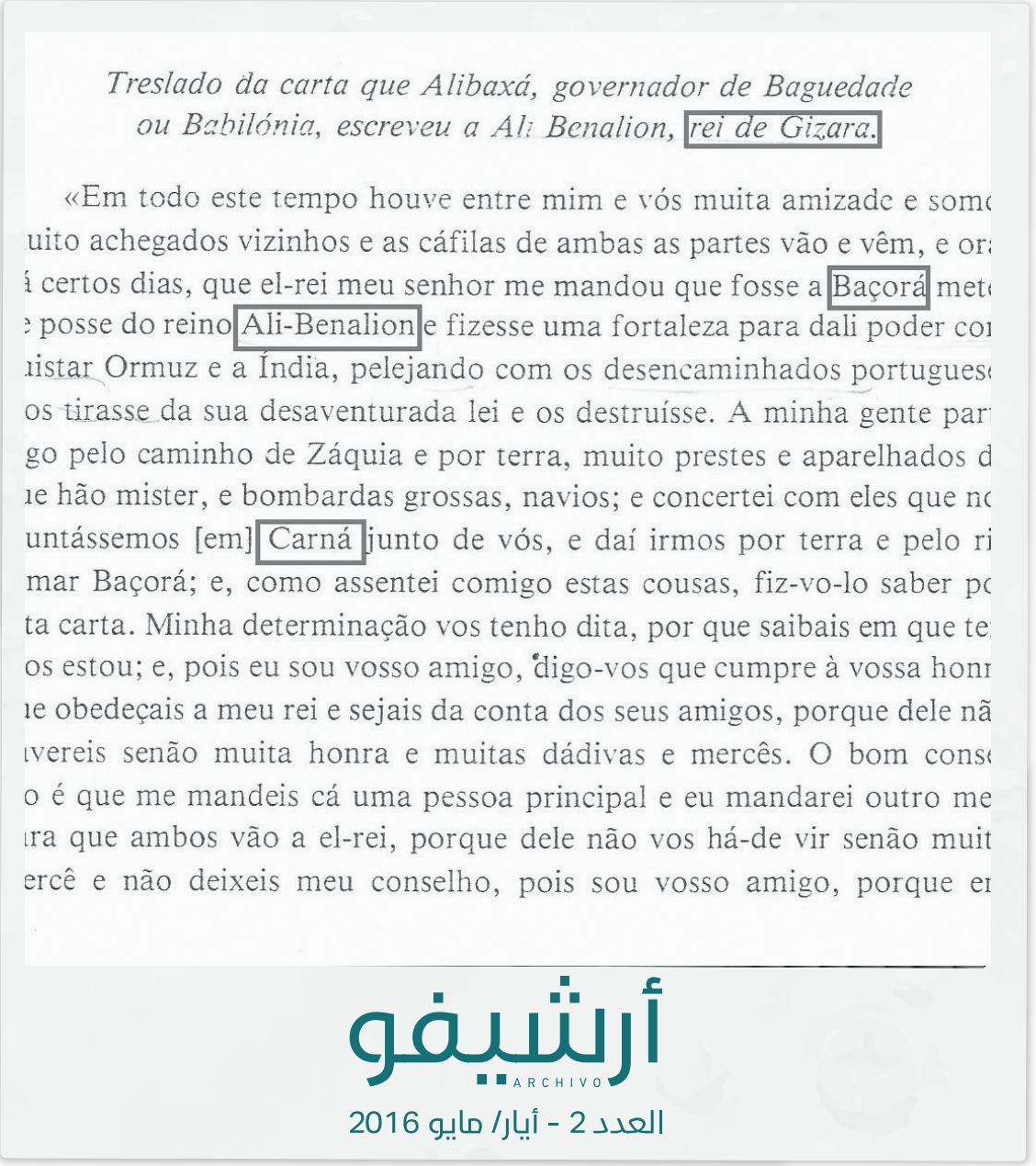

Treslado da carta que Alibaxá, governador de Baguedade ou Babilónia, escreveu a Ali Benalion, rei de Gizara.

«Em todo este tempo houve entre mim e vós muita amizade e some
uito achegados vizinhos e as cáfilas de ambas as partes vão e vêm, e ora
á certos dias, que el-rei meu senhor me mandou que fosse a Baçorá mete
e posse do reino Ali-Benalion e fizesse uma fortaleza para dali poder cor
ıistar Ormuz e a Índia, pelejando com os desencaminhados portugues
os tirasse da sua desaventurada lei e os destruísse. A minha gente part
go pelo caminho de Záquia e por terra, muito prestes e aparelhados d
ıe hão mister, e bombardas grossas, navios; e concertei com eles que nc
untássemos [em] Carná junto de vós, e daí irmos por terra e pelo ri
mar Baçorá; e, como assentei comigo estas cousas, fiz-vo-lo saber pc
ta carta. Minha determinação vos tenho dita, por que saibais em que te
os estou; e, pois eu sou vosso amigo, digo-vos que cumpre à vossa honr
ıe obedeçais a meu rei e sejais da conta dos seus amigos, porque dele nã
ıvereis senão muita honra e muitas dádivas e mercês. O bom conse
o é que me mandeis cá uma pessoa principal e eu mandarei outro me
ıra que ambos vão a el-rei, porque dele não vos há-de vir senão muit
ercê e não deixeis meu conselho, pois sou vosso amigo, porque er

أرشيفو
ARCHIVO
العدد 2 - أيار/ مايو 2016

وثيقة وحكاية

علاقة القبائل العربية في البصرة بالبرتغاليين

د.محمد سلمان

وثيقة هذا العدد، هي جزء من مجموعة وثائق برتغالية في أرشيفي الخاص، تُشكل مصدراً مهماً لدراسة علاقة القبائل العربية الخليجية، وتحديدا في جنوب العراق وحول البصرة، بالبرتغاليين إبان سيطرتهم العسكرية على مساحة واسعة من مياه الخليج في القرن السادس عشر للميلاد. وتركز هذه الوثائق على النشاطات البرتغالية حول البصرة وفيها، وعلى طبيعة تلك العلاقات الناشئة بين السلطات البرتغالية والسلطات المحلية في البصرة، التي فرضتها المصالح الخاصة، خلال القرن السادس عشر للميلاد.

وهذه الوثائق هي جزء يسير مما يحويه الأرشيف البرتغالي (ANTT)، الذي أنشئ عام 1378، وهو حالياً في مدينة (لشبونة) عاصمة البرتغال(1). وهذا الأرشيف الوطني البرتغالي يضم ثلاثة أقسام ضخمة من المواد المؤرشفة؛ أولها وأكبرها يسمي مجموعة السلسة التاريخية أو الزمنية (Corpo Cronológico)، وتضم 82,902 وثيقة محفوظة في مطويات عديدة تسمي (Maços)، بمعنى حزمة أو صرة. معظم المواد الأرشيفية في هذه المجموعة تعود إلى القرن السادس عشر للميلاد، لا لمنطقة الخليج تحديداً بل لكل مناطق المحيط الهندي.

آلاف الوثائق في هذه المجموعة، كُتبت خلال ما سمّي في الفترة البرتغالية بـ (Idade de Ouro)، أي العصر الذهبي للبرتغال في القرن السادس عشر للميلاد.

ونشير إلى أن سلطات الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج، أبدت اهتماماً ملحوظاً بالخط الملاحي الدولي، هرمز- البحرين- البصرة، ولأن طريق البصرة- بغداد كان يشكل للبرتغاليين خلال ذاك العصر، الطريق البديل لما سمي في مصطلح الكشوف البرتغالية (طريق الهند- Carreira Da India). فمن هذا الطريق البديل تأخذ البضائع طريقها من البصرة إلى بغداد ثم إلى تركيا، أو في الاتجاه الآخر، إلى بلاد فارس حيث طريق الحرير المشهور آنذاك(2). وفي هذا الصدد، تذكر الوثائق البرتغالية أن البصرة كانت تتمتع بحركة تجارية كبيرة مع الهند في أوائل القرن السادس عشر، حيث تُجمع كثير من البضائع كالشعير، والزبدة، والتمور العراقية، واللؤلؤ البحراني المميز وغيرها. أضف إلى هذا بضائع بلاد فارس، وتحديدا من مقاطعات شيراز، ولار، كالحرير والسجاد، والقماش، والصوف، والذهب والفضة، إضافة إلى، المنسوجات الأوروبية، وسواها، حيث يجري

تصديرها كلها إلى الهند عبر ميناء البصرة الخليجي(3).

هذه ظروف صدور تلك الوثائق البرتغالية الخاصة بالخليج، التي تتحدث عن جزء من الشبكات التقليدية البحرية التي كانت تعمل باستمرار بين البصرة و(Goa) بالهند وهي عاصمة البرتغاليين في المشرق الإسلامي.

كانت معظم البضائع التي تأتي عن هذا الطريق، وخصوصا القمح البصراوي، والزبدة، تُحمل على ظهر سفن صغيرة وسريعة تسمي بالبرتغالية (tarrãda) تعمل بين هُرمز والبصرة(4).

كما تتحدث الوثائق البرتغالية، عن السلع الحيوية للبرتغاليين في البصرة، وهي الخيول العربية الأصيلة التي تأتي من قبل المصدرين من زعامات القبائل العربية. فقد كان يصدر سنوياً منها إلى (جوا)، عبر هُرمز البرتغالية ما بين 600-800 حصان عراقي. وبذلك، تكون هذه التجارة مع غيرها من أنواع البضائع الأخرى، كانت تشكل رقما مهماً في أرباح جمارك البصرة، ما دفع البرتغاليين إلى محاولة احتلال البصرة أكثر من مرة، كما حدث خلال حملة القائد البرتغالي (Behchior Tavares de Sousa) عام 1529(5).

ولن نطيل في الحديث عن الوثائق البرتغالية التي تناولت العلاقات مع البصرة وأهميتها للباحثين، فليس هنا مجالها، ولكننا نشير إلى بعض الوثائق البرتغالية، التي تجدون نموذجا مصاحبا منها لهذه المقالة.

علاقة البرتغاليين بالشيخ ابن عليان

ضمن هذا العرض نجد جزء من وثيقتين برتغاليتين تتناولان تلك العلاقة، وذلك خلال فترة الاحتلال العثماني للبصرة بعد عام 1546. فالوثيقة الأولي، هي عبارة عن رسالة بُعثت من قبل الشيخ ابن عليان (Ben Ūlyaan) أحد زعماء قبائل (المنتفج) في البصرة وحاكم منطقة الجزيرة كما تشير الوثيقة، إلى قائد قلعة هُرمز البرتغالية، تذكر أن الأتراك ينوون بناء حصن لهم عند مدخل ميناء البصرة في القرنة(6). وتعليقاً على هذه القضية، هناك تقارير برتغالية تذكر أن الأتراك من أجل السعي للحصول على المنتجات الشرقية من الهند والشرق الأقصى، اضطروا لنسيان خلافاتهم مع البرتغاليين في الخليج فترات متعددة، وأن الأتراك كانوا بحاجة ماسة للأخشاب من الهند وشرق أفريقيا لبناء أسطولهم في البصرة، وتلك التجارة تمر عبر مضيق هُرمز وهو في يد البرتغاليين؛ لذا اضطروا لمهادنة البرتغاليين عدة مرات من أجل هذا الغرض(7).

كما أنه من جانب آخر أيضاً، اضطر البرتغاليون بسبب حاجتهم إلى القمح من جنوب العراق لتغذية جنودهم في قلعة هُرمز، إلى أن يبادلوا الأتراك المصالح التجارية نفسها. لذا سمح البرتغاليون، كما تشير الوثائق، بتزويد البصرة سنوياً بحوالى 3000 «بالة» من الفلفل، مقابل تزويد الأتراك للبرتغاليين بألف قنطار من قمح البصرة(8). إضافة إلى تغاضى البرتغاليين في هُرمز معظم الأحيان عن التجارة الممنوع وصولها إلى البصرة مقابل بعض الرشاوى من الأتراك، كما حدث في عهد قائد قلعة هُرمز المدعو (Luis Falcâo)(9).

وتتناول الوثيقة الثانية في هذه الحكاية، هذه الشخصية، وهو القائد العسكري البرتغالي في هُرمز وقلعتها (Luis Falcâo)، الذي يُعتبر مهندس العلاقات الطيبة بين القبائل العربية في جنوب العراق والسلطات البرتغالية في هُرمز، وقد عمل بكل جهد للحفاظ على تلك العلاقة مع بعض شيوخ قبائل البصرة، ولا سيما أولئك الذين وقفوا بجانب البرتغاليين ضد الأتراك أمثال الشيخين ابن عليان، ويحي. وهنا نعرض لجزء من تلك الوثيقة التي تصف الشيخ ابن عليان بأنه (صديق) للبرتغاليين بهذه العبارة القديمة الواردة في الوثيقة:(há muitos tempos que tivemos amizade)

(منذ مدة طويلة هذا الشخص هو صديق لنا)

أضف إلى ذلك، تدخل البرتغاليين أكثر من مرة في الصراع بين بعض زعماء تلك القبائل العربية على البصرة، وإرسال بضع سفن لمساندة الموالين لهم ضد المعادين للبرتغاليين.

وهناك وثيقتان أخريان من المجموعة نفسها ، لن نعرضهما في هذا السياق، هما عبارة عن رسالتين من ابن عليان، والشيخ يحيى من شيوخ البصرة، جرى إرسالهما أيضاً إلى (Luis Falcâo) في هُرمز تؤكدان تلك العلاقة، التي انتهت بعد هزيمة البرتغاليين وطردهم من الخليج عام 1622، على يد الحلف الثنائي :الانكليز ممثلين بشركة الهند الشرقية الانكليزية (EIC)، والشاه عباس الكبير الصفوي(10).

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة هال البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.
للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com